

نوفيلا
راندا عبد الحميد
الليل ياليلي
DESIGN BY YOKA SAYED
دار حكاوي الكتب
http://www.hakawelkotob.com

الليل يا ليالي

رانيا عبد الحميد

حكاوي

كتب

حكاوي الكتب للنشر الالكتروني
www.hakawelkotob.com

تصميم الداخلي: فاطمة الزهراء

أنا سجينة حب عمى ..

من صغرى عايش فى دمى..

هو أغلى ما عندى..

وفى يوم خرج ومرجعش..

قالوا مات ونصبوا الصوان..

بس أنا أحتجيت ورفضت..

هو بيحبنى وعمره ما خان..

أكيد هو بس سافر..

وهفضل مستنيه رجوعه..

بس غاب وما رجعش..

وأنا أشفقت..

واخيرًا أكتشفت ..

انه كان بيحبنى بس مات..

وجايين يحكوا عن اللى فات..

خلاص عرفت..

ومن كاس فراقه دقت..

وغصب عنى..

أتوجعت وبكيت وأنهرت..

وبقيت دلوقت زيهم..

بقول ربنا يرحمه..

وكل الحكاية كان ليا عم..

راح وأنا أشتقت.

حين نغوص فى ذاكرة الحلم...ونتلحف بسحاب الذكريات... تمتد ذاكرتنا لبواسق الطرق المظلمة.... نختنق بعهد ولى... مخلفًا من بعده حرائق ... تنشب فى كل يوم ببقايا جذور الأشجار... لتتساقط الزهور والسيقان... حتى تفنى ويفنى العمر معها.. ولن يتوقف كل هذا الدمار إلا إذا.. أغاثها القدر بمن يقف فى وجه الوجع والإستسلام.. بعزم ثابت لن يولى.. وربما الهروب من الناس من الاحباب.. من دنيا عشناها وأفنينا فيها عمرنا .. يكون عين الصواب.. فها هو قلبها هرب من عالمهم كما شيعت روحها الراحلة من دنياهم.. لعلهم يغوصوا فيها بمكرهم وجروحهم.. ويستمتعوا بضياعها وينسوها..

رانda عبد الحميد

أجلسها اخر من تتمنى وجوده بحياتها على سريرهما الوردى.. متساقطة الدمع.. مضطربة الفؤاد.. مسلوبة اللب.. مرتجفة الخلايا.. مشدوهة مما هو أتى.. و... جلس هو بقربها بفرحة أقرنائه ممن يمتلكوا لقب "عريس" بليلة زفافه..

وهى..

بكل خنوع لم تملك حق القبول ولا حتى الرفض.. سيرت بأوامرهم الخانقة لدرجة الموت.. وها هى تنتظر المزيد من القهر والحرمان بكل خنوع وأستسلام..

حركة على كفها جذبتها من شرودها الحزين... وبحت صوته ايقظتها إلى ثرثرته التى لم تتوقف منذ فوزه بها.. ليعيد اعتقالها فى بيته كعادة بنى جنسه.. سلمها أهلها له بصك ملكية موقع

ومختوم بأيدهم.. ثم رحلوا بكل بساطة...

زافرين براحة التخلص منها ومن العبء المحمل

على كاهلهم... رفعت عينيها المحمرتين من أثر

الدموع التى لم يتوقف سيلان مجراهم.. وتطلعت

لملامح وجهه... ذكرتها بأول لقاء شؤم أودى بها

إلى عرينه وسلسلها بقيوده...

وتذكرت عندما كانت...

فى إحدى الشوارع هادئة المعالم كقاطنيها..

توقفت وهى تتمسك بقماشة نظيفة، قطنية،

برتقالية اللون... تمسح سيارة موديلها قديم نوعًا

ما... تكن لها الكثير... على الرغم من خوفها

الذى يحيل بينها وبين تعلم قيادتها.. إلا إنها كل

صباح، وقبل رحيلها للعمل.. لابد أن تزيل أى أثر

ولو طفيف من الغبار قد يكون حل عليها.. فهذه

السيارة وإن لم تكن حديثة الطراز إلا أنها

تعتبرها كنزها الكبير.. فقد اشترتها بكل ما

تملك من مدخرات... وأعتبرتها اخر ذكرى لها

من احب الناس اليها... من مثلها الأعلى.. من عمها

الغالى رحمه اللّه... عمها اخو ابيها الذى كان

وظل حتى بعد رحيله هو القدروة لدربها بأجمله...

فقد تزوج ابيها امها وكان هو فى الفصل

الثانوى... وعندما تنفست عبق الحياة بميلادها..

وطلت بعيناها السوداء المستديرة كأكتمال

القمر.. كفرد جديد على العائلة... تلقفها عمها

بين أحضانه.. أسماها "ليلته".. وزع حبها بين

شرايينه.. حتى أعتبرها ابنته البكر.. اهتم بادق

أمورها الشخصية، والحياتية بنفسه... فاعتبرها كإبنته وليست ابنة أخيه..

عاش حاكمًا لها حاميًا لحماها.. يحتويها من نزوات والدها وضعف والدتها... اختلق المبررات لتنفيذ ما تطلبه وما تتمناه كما تراه وحدها... وبالرغم من دلاله إلا أنه أحكم شكيمتها وتربيتها مع لمسة الإنفتاح لعالمها بمقولته المأثورة (طالما ما نريده لا يخالف ما قاله اللّه ورسوله فلا يوجد أى أسباب لمنعه أو التراجع عن إيرادتنا والمضى قدمًا).

دائما رأته شخص مميز ومختلف.. فتوقفت كثير للتعلم من أسبابه، وحكمته، ونهجه المعتدل فى الحياة... ففى كل المواضيع كانت تسمع للارائه

بأذان صاغية... فهو كان متميز وسط أعمامها، وابناء عمومتها جميعًا مختلف بفكره واخلاقه... كان دائما يفكر بطريقة راقية، متحضرة، متفتحة يلازمها الدين والاخلاق ايضاً... فأصبح مزيج رائع من المرح الدائم، والإحترام، وغض البصر، والتزام الكفاف وعزة النفس... فاعجبت بتمالكه لنفسه.. وبأسه فى اشد المواجهات مع الحياة.. مرحه مع عائلته.. وصرامته فى أشد الأوقات... تعلمت منه سعه الصدر وحسن الخلق حتى اضحت خلاصة غرس يديه...

حتى بعد ان تزوج وانجب ظلت هيا ابنته الكبرى.. فلم يمس وجود أبناء له مكانتها ولم يزحزحوها منها..

حتى سقطت المكانة وكسر جناح الطير الغرد

بفراق العم والسند..

....

ها هيا بعد مرور السنوات مازالت تزرف الوجع دمعاً

على فراق هذا الحبيب الغالى بعد أن انتزعته

الحياة بمخالبها الشرسة من حياتها بدون

رحمة....

هناك حروق تنهش فى القلوب.. لا تخمد نيرانها

مرور الأيام... فهو تركها لتبقى تصارع الحياة

بمفردها... تصارع التقاليد والعادات وقبلهم

أهلها... تصارع أغوال فى صورة أشباح لقوانين غير

مرئية... لكنها واجبة النفاذ...

أعادوها لسكناتهم وحاصروا حريتها بخنادق

أرائهم.. وكأنهم كرهوا تحليقها.... أشهروا بيادق

أسلحتهم... لتخضع لسلطانهم بدون رأفة.... أصروا

على خلع ثوب الدلال عنها.... والبسوها ثوب

الخنوع كغيرها من الفتيات.... حجبوا من

قاموسها مصطلح الرغبة... وشجبوا معه الأمل...

وأعادوا حفر قلب أحلامها بسن أحجارهم

الصلبة.... منعوها من إستخدام عقلها... الذى

يولد التحدى والمثابرة...

هى فتاة... فكيف يتعدى طموحها بوابة

المطبخ؟... ولا يتنقل فقط بين أروقته؟... كيف

تحلم بأن تغادر أرض الوطن بحجة إكمال درجاتها

العلمية؟... وما أهمية تعليمها من الأساس؟... فهى فى النهاية فتاة...

إذن.. ليس من الجيد أن يرتفع شأنها.... فتبقى واقفة فى طابور العنوسة.... فمن يقبل بفتاة لديها طموح ووجهة نظر؟.. من اين لهم بعريس يجابى درجاتها العلمية؟... يكفيها ويفيض حصولها على ما حصلت عليه قريناتها... وتبدأ فى العيش فى سكناتها الأصلية والعودة لأرض الواقع.... ومغادرة الأحلام.... ولتعلم وفقط أنها فتاة ويجب أن تعيش هكذا...

....

تذكرت كيف وقفت تتحدى وتتمسك بحلمها...

وصدمتها الأذان الصماء.... والعقول المتحجرة...

وتم الحكم.. بأمر واجب النفاذ بدون نقاش....

واقتراح صغير بعقد خطبة.... ليلهيها... وتنسى

معها تخاريف أحلامها...

من قال أن الأهل لا يقتلوا ابنائهم احياء؟... من

ظن يومًا أن السند لم يتحول لسكين تطعن فى

الخصر فهو واهم... من أمن أن كل ما يفعله الأهل

فى مصلحة ابنائهم إنه لظالم...

وكان لهم الكلمة الأخيرة... اجمعت القبيلة

وحكم الحكام... وبقيت هى فى مقاعد

المتفرجين... محكومة بقرارتهم واجبة

التفيذ.... وأستكانت كعصفور قصقصوا

ريشة... اودعوه بقفص حديدى ... واغلقوا بابه

بالمتاريس... لكى لا يقدر على التحليق مرة أخرى....

أعجزوها بتحكماتها.... ولغوا مستقبلها تحت قانون جائر.. يطبق فقط على بنات جنسها.... واعلان نهاية حتمية مكررة مسبقًا... بدايتها ونهايتها وحتى الملخص كان "الزواج" ....

إذن لما التعب والسهر فى تحقيق أحلام وطموحات... ستنهار جميعها تحت صخرة العادات... والقوانين ثابتة عند معشر الذكور... ورفض منها الطعن دون النظر فيه...

وقد كان...

نفذ حكمهم وحسم الأمر...وبقيت هى على باب الحزن ترتل اياته شطرًا شطرًا...انحنت وسلمت

كأول خطوات لتنفيذ أخر الأحكام... يدًا بيد.. لجلادها المغوار... فى قالب ابن عم متهور دفعت لتنال رضاه... نصحوها بتغييرهه بطريقتها... بذكائها... بمكر النساء... بأى شئ وبكل وسيلة.. وإلا فهى الفاشلة الوحيدة فى المعادلة... وسبق وتحقق استنتاجها بالفشل..

من قال لهم أن لكل النساء ذكاء... لو كانوا أذكياء لتفلتوا من بين براثن الرجال وجورهم... وما فرض عليها خاتم ابن عم فى هيئة أخ لا يمت لأحلامها بصلة... وبما أن لا يوجد بين حوائط محكمتهم الشامخة محامى للدفاع... فقرر القاضى الحكم دون النظر للحيثيات...

....

أزالت أثر دموعها وهى تحمد الله لأنه ساق مثل

عمها فى حياتها... على الأقل قد عاشت جزء من

حياتها تستمتع بنسائم الحرية... قبل أن يصدر

حكمهم بالإعتقال... نهلت من علمه وأخلاقه...

وكان لها فى رحلة حياتها الماضية سند، ووتد...

فقد عاشت من بعده على الأطلال... دعت له

بالرحمة، والغفران جزاء أفعاله معها... ومع كل

اقرنائها من العائلة... فبات قدوة لهم جميعاً...

وفارس أحلام بنات عائلتها بلا إستثناء... وجدوا

فيه نموذج الأب، والأخ، والزوج، والعم، والخال

وكل ما يقترب من عرش الرجولة الحق كان هو

يمتلك صفاته، وأخلاقه، وحيائه... فقد جمله

الله خلقاً وخلقاً ليستأثروا به أمام منابع الحياة

وبواطنها...

....

عادت من دوامة ذكرياتها منتفضة هذه المرة على مصدر بؤسها الآن... والسبب الرئيسى فيما يحدث معها... ولها... فى عينيه رأت الماضى .. الماضى القريب..

وتوالت الذكريات عائدة ... عندما أصطدام سيارتها باخرى... تهشم زجاج أحد جوانبها... نظرت لها بصدمة وحسرة... ثم أشاحت بمقلتيها عنها لترى الجانى الذى حرمها إحدى رفات ذكراها الباقية من عمها... بإرتباكه وضعف شخصيته الدائمة وقف أمامها متوتر كالعادة... كان هذا حكمها عليه منذ صغرهم... وها هو القدر ابتلاها به وبرعونته.. وكعادته يدمر كل

ما هو جميل بحياتها.. ويقف تحت راية الحماية الملكية العائلية بدون عقاب..

تحت مسمى رجل وقريب وابن عم... نعم فقد ظهر ذنبها الكبير الذى تدعى تجاهله ونسيانه... عاد محمد ابن عمها الذى يسكن فى احد المناطق القريبة... ترقرقت جفنيها بالدموع ولم تسعفها الكلمات بعد أن غمس الألم نصله بقلبها المنهك من البداية...

نزل محمد من سيارته مسرعًا... مذهول من فعلته غير المقصودة كعادت أفعاله الغير مقصودة دائمًا... فهذه السيارة هى أخر ذكرى لعمهم الراحل الذى يكن له ايضًا كل الحب والتقدير...

وضع يده على شعره بإستياء وحنق وشده بقوة قائلًا

(ياللّه.. اسف واللّه عربيتى النهاردة مش عارف مالها... ما تزعليش.. واللّه مش هروح الشغل النهاردة الا لما أجيب غير الزجاج ونركبه.. ايه رأيك هسيب عربيتى هنا عشان ما نخبطش فى حد تانى؟..

لم تستطيع نهره على فعلته وإلا سيهدم السقف على رأسها بدون رحمة.. كما لم تستطيع رفض عرضه فهو خطيبها وزوج المستقبل بحكم عائلى قابل للنفاذ... ويتوجب عليها طاعته بدون نقاش... ولم يكن أمامها إلا أن تسير أمامه بخطوات ضائعة حزينة ولا تخلو من الأستسلام...

استوقفوا إحدى السيارات الأجرة... وركبوا
وكلاهما شارد في ذكرياته الخاص... مع من رحل
عن عالمهم بدون وداع...

تذكر محمد كيف أصرت ليلى ذات يوم.. عندما
كان هناك ليلى حقيقية أمامه وليس شبح
بقاياها كما هى الآن على شراء هذه السيارة ..
لتبقيها ذكرى خاص منه ومنعت منعًا بات أى فرد
من أفراد العائلة مشاركتها فى ثمنها أو العناية
بها فيما بعد... وحرصت ألا يستقلها بعد غاليها
الراحل أى انسان لأى ظرف كان... حتى تنظيفها
من الداخل رفضته حتى تحتفظ ببقايا عبق عمها
وبصمته عليها...

مرت الدقائق على شرودهم وليلى تنوح بصمت.. مختنقة بأوجاع روحها الضائعة... باحثة عن ظل الشجرة الراحل... وعبق الزهرة المختفى... أضاع منها؟ أم هى من ضلت الطريق؟..

أفاق كلًا من محمد وليلى على صوة السائق يستأذن شخص ما ليقوم بإيصالهم اولًا لقرب مسافتهم... وصوت موافقة الراكب بجوار ليلى الذى لم ينتبهوا لوجوده إلا الأن صدر من جوارها بتمتمة موافقة...

فغرت ليلى فمها واتسعت حدقتيها وهى تراه ينظر لها... لو أدركت منذ البداية وجوده لما قبلت بالركوب بجواره... وعلى الرغم من وجود مسافة

بينهم وكل منهم يجاور النافذة من ناحية

مستقلة إلا انها انكمشت أكثر على نفسها...

اما هو... قد لاحظ شرودها منذ أن جاورته...

وعندما سمعت صوته أرتجفت ونظرت له بضيق

وانكمشت على نفسها... فزاد الأستغراب والتعجب

بداخله..

أشاح نظره عنها بلامبالاة فوقعت حدقتيه على

الشاب الذى ركب معها... دقق فى ملامحه عندما

بدت مالوفة له... واقترب بجسده كله للأمام

ليكون على مقربه أكثر وقال بشرود مفكر :

(أعتقد انى شفت حضرتك قبل كده؟)

فى لحظة اقترابه ابتعدت ليلى أكثر بخوف..

وزاد إنكماشها وضاعفة مساحة الحاجز الوهمى

المنيع بينهم لتحتمى بداخله... منذ رحيل عمها

أصبحت تكالبت الأذرع لنحرها.. حتى أصبحت

تخشى الغرباء والأقارب بشكل واضح... فكان هو

أمانها وبعد رحيله تتجرع كل يوم مرارة

الفقد...من كأس اشتياقه.. وكوب أمانه..

وقارورة حمايته.. وباقى القطرات المنسكبة على

الدوام من حنانه...

وها جاء دور اختبار جديد مع غريب جديد ..

اقترب الغريب بعض من السنتيمترات دون أن يبالى

بأن هناك كومة من الحطام تنكمش بجواره...

تذكرت كيف كان حرص عمها عليها... يعاملها

كجوهرة نفيسة يجب الإحتفاظ بها مغلفة

بقماش مخملى ومغلق عليها باحكام... فمنع الأخرين من العبور اليها أو الإقتراب من جوهرته الثمينة... وبعد فراقه اكتشفت أن العازل الذى سوره حولها وهمى.. وسقطت قلاعاته مع رحيله... فأصبحت وحيدة لينهشها الجميع بدون حامى أو رادع... ومع خروجها من عليائها السامى، لطمت بصفع الحياة لها طمعًا فى ست الحسن والدلال... فتهشمت روحها ببيادق الأيام بكل يسر... وأسرعت للإختباء داخل قوقعتها فوجدت أنه لم يعد له سقف ولا باب... فقفت هائمة فى طرقاتها غير منتبهة للشارى أو البائع مما خلفهم ضياعها...

عادت للواقع من جديد على صوة ابن عمها بعد أن أطال التدقيق فى هذا الغريب قائلًا: (برضوا شكلك مش غريب عليا ..انت.. اااا سيف الدين محمد.. صح؟)

إبتسم سيف الدين وصاح : (وانت محمد صالح..)

ضحك كلاهما، وتعانقا مما زاد قرب سيف من ليلى بعد السنتيمترات الأخرى ... شهقت ليلى شهقة خافته وكبحت جماحها داخل صدرها... وتعالت ضربات قلبها، وزاد ضخ الدم بأوردتها وبدأت حدقتيها تتراقص بترقب كقلبها...

أخذ محمد وسيف فى المزاح، والسؤال عن الأخبار... وكيف حالت الدنيا وحكمت بالإبتعاد...

فى وسط سعادتهم بهذه الصدفة مال سيف قليلًا للوراء فاصطدم كفه بساق ليلى... نظر تلقائيًا لساقها... فانتبه إلى عبائتها التى إغلق الباب على

طرفها... فجذب جزء يسير منها فاتاح الكشف

عن مفاتنها ساقها بالأسفل...

سحب سيف كفه بجزع... ونظر إلى محمد سريعًا

ليتبين هل رأى ما حدث ام لا... فوجده مازال

يتحدث ووجهه للأمام... فزفر براحة...

أما ليلى فقد تيبست أوصالها من لمسته التى لم

تستغرق إلا ثانيتان ... أرتكزت حدقتيها على

قدمها بعدم فهم... وعندما ادركت فداحة

الموقف اعتدلت ووضعت كفها على الباب

بجوارها لتفتحه حتى تسحب باقى عباءتها...

كان سيف أسرع منها فوضع كفه على كفها..

وسحب كفها حتى لا تفتح الباب وتسقط بسبب

سرعة السيارة وتلقى حدفها... وبدون تفكير أو

تردد وضعت ليلى كفها الثانية على الباب لتفتحه... غير عابئة بما يمكن أن يحدث لها من مخاطر... قد كانت شديدة الحياء... وموقف هكذا يجعلها تتمنى الموت وان لا تتكشف على أي رجل...

أسرع سيف بوضع كفه الثاني على كفها وجذبها.. ثم ضم كلتاهما داخل كفيه بإحكام... ورفع عينيه لها بنظرة تحذيرية حازمة أجفلت وتيرة ضعفها... توقفت ليلى عن مقاومتها المستميته وعادت لتنكمش فى مكانها بخوف... وظل سيف متمسك بكفيها بينما يكمل حديثه مع محمد...

صدمت ليلى من أستمرار تمسكه بكفيها فزادت رجفتها... ومع صرامة ملامحه لم يتيح لها فرصة إلا للانزواء أكثر على نفسها... وبين بركان رجفة قلبها... تأكدت أنه لو كان هذا حدث فيما مضى لوجدت بداخلها الشجاعة لتقلب الدنيا على عقب بدون مبالاة بالنتائج ولا الاهتمام بأحد... أما الآن فهي عبارة عن بقايا إنسانة محطمة... ليس بها طاقة على المقاومة ولا حتى الصياح... أنهكها سهم الحنين... واغتالها شبح الذكريات... وافترت تستجدى زمن قد ولى عهده... فتخازلت لتسقط صريعة إغتيال قسمات الزمن..

طرفت عينيها ناحية ابن عمها القابع فى المقعد أمامها غير مكترث لوجودها... فلم تجد بحبالها الصوتية بقايا بحة لتستنجد به من طوفان هذا

الوقح المتغطرس... فاستسلمت لبئر ضعفها وكتمت دمعة مهزومة على زمن ولى ولم يتبقى من عنفوانه إلا بقايا ذكرى... ارتجفت بخوف ظاهر من هذا الشاب الجالس بجوارها... فسرت رجفتها إليه...

أما سيف... فقد أكمل حديثه مع صاحبه الذي لم يره منذ زمن... متجاهلًا الحمقاء التى تريد أن ترتكب حماقة كحماقة ارتجافها الذى يصله ولم تكف عنه...

فى أثناء الحوار اقترب سيف من اذن محمد صاحبه وهمس : (انت تعرف البنت الجنبى دى ولا ركبت صدفة معاك ؟)

ابتسم محمد بسخرية وقال : (اعرفها بس؟.. دى قدري الأسود اللى ربنا يصبرني عليه...)

نظر لها سيف بفضول ثم عاد ونظر لمحمد ثانية وقال بتعجب : (ليه بتقول كده؟)

فتنهد محمد بهم وقال : (انت يمكن سمعت عن عمى اللى توفي من كام سنة الله يرحمه... ده اللى مربيها... كان عامل عليها حظر تجول من أى راجل فى الدنيا... وحتى احنا قريبها... كان هو كل حياتها ومدلها وكان مفيش بنات فى العيلة غيرها... ... فكانت مرتبطة بيه جداً... فى كل حاجة تستشيره... فى كل صغيرة وكبيرة...

أما توفى كانت صدمة كبيرة بالنسبالها... وبالرغم من حزننا كلنا إلا أنه زى ما تقول هى أكتر واحدة اتاثرت بشكل غير طبيعى... وكأن

كل حاجة فى حياتها انتهت.... وبقيت عايشه على الأطلال... عارف زمان سمينها صاحبة البسمة لأنها دايمًا مبتسمة وبتضحك... بس زى ما انت شايف دلوقت بقيت بقايا إنسانة... حتى بقيت بتخاف من خيالها مش عارف ليه... واخرتها دبسونى فيها عشان زى ما انت شايف محدش هيرضى بواحدة نكد كده... فاصر والدى إن يخطبهالى على أساس إنى ابن عمها واولى بيها وعارف ظروفها... بس أنا قلت لبابا لو فضلت كده بعد الجواز هارميهاله واتجوز غيرها...مش ناقصة نكد هيا...)

جالت حدقتى سيف عليها بحزن فوجدها منزوية على نفسها، متوشحة ببردة الحزن، والدموع تملأ مقلتيها بعجز... إنسابت أصابعه التى كانت

تتمسك بكفيها بتملك مبتعدة بتمهل...

وزحفت بدون إرادة إلى خلف كتفها تربت عليه...

وهو متيقن بأن...

لو سكنت الملائكة معنا على الأرض...

سترى معنا أسوا الكوابيس...

انتفضت ليلى برعب من تجاوزاته، وزاغة عينيها

المختنقة بالدموع... فتساقطة مبتعدة عن

الأهداب... بعد ما عجزت عن الصياح مجددًا...

فهي لم تعد تحيا بطبيعتها مثل باقى البشر..

حتى تتخذ رد فعلهم وتوقف تجاوزاته مهما زادت...

وإن كان هناك نبراث لروح باقية... فقد أنهاها

الزمن بوعيده وأصبحت بقايا أنسانة... جسد بلا

روح... ساكنة بلا حراك.. يفعل بها ما يشاء بلا رد فعل يخرج من داخلها... فتقتل دون ذبح... ولا تستطيع الوصول بضعفها إلى خط النهاية لتلوذ بالفرار من قبضة قاتيلها..

ادرك سيف ما فعله بها فابتعد قليلًا على الرغم من تمسك عينيه بعينيها... وهو يقسم أنها لم تسمع ما دار بينه وبين صديقه من شدة هذا الخوف الناضح بمقلتيها...

لكن مهلًا...

ماذا هو بفاعل؟.. ما الذى جعله يفعل معها هكذا؟.. وما الذى جعله يمسك كفيها ويقيدهما بتملك وكأنه معتاد على ذلك معها؟.. فقد كان يمكنه نهرها أو تحذيرها وكفى بكلمات بسيطة جوفاء وكفى.. .ولكن

كيف سمح لنفسه التمسك بكفيها طيلة هذه الدقائق بأريحة تامة ؟... وكيف ربت على كتفها بهذه السلاسة؟.. لما يشعر بأن هناك شئ غير طبيعى به أو بها؟.. بل ربما يكون طبيعى أكثر من الازم... كأن كل حدوده وما تربى عليه تسربت مع حزنها وجزعها وسقطوا جميعًا أرضًا..

نظر سيف للجهة الأخرى واخذ يستغفر ليبعد عنه وسواس الشيطان... لكن تذكر قرار محمد الذى لا يحاول حتى أخفائه مخافة على مشاعرها.. فهو (لو لم يجد السعادة معها.. سيلقيها لوالده ويتزوج غيرها).

شعر بالشفقة عليها من جديد... فمن فى مثل حزنها المتاصل بعمق بكل جوارحها.. كيف

يتطلب منها منح السعادة للاخرين؟... ولكن هل ستستطيع تحمل المزيد من الالم، والحزن...

عاد بالنظر إليها ثانية فتلمس حيائها من وجهها المطرق لأسفل.. وشفتيها التى تحاول السيطرة عليهما بالأطباق عليهما بقوة واهية... وذراعيها الحاضنتان كتفيها لتستمد الأمان بصمت... ربما تستجلب بقايا ذكرياتها بالأمان من عمها الراحل...

شئ ما بداخله ألمه بقوة... لمعرفته المسبقة بمصيرها القادم الحتمى... فوجد نفسه يقترب من صديقه ثانية يسأله بحزم هامس حاول أن يخفيه : (يعنى مفيش أمل انك تحبها ابدًا؟).

سبح محمد فى ذكريات الماضى واجاب بصراحة : (عارف يا سيف.. ليلى دى لو كانت لسه زى الأول كنت مت فى التراب اللى تمشى عليه... لكن مين بيحب الحزن يا صاحبى؟... دى بقت خميرة كأبة ونكد متحرك يا ابنى... حتى شوف بنفسك...

دى محتاجة واحد باله طويل يقف جنبها... ويصبر عشان يخرجها من الدنيا اللى حبست نفسها جواها ورافضة تسيبها... وبعدها يحاول يساعدها عشان ترجع ثقتها بنفسها... وبعدها عايزين نفكر هل تنفع لاى حد ولا لا؟... والله يا سيف ما يغركش كلامى.. أنا زعلان عليها بس الواحد هيتجوز كام مرة عشان يكون نصيبه وجع القلب ده؟ ... وياما قلت لوالدى.. انتم هتجنوا عليها لو اتجوزتها.... أنا عارف نفسى كويس معنديش

مرارة اطبطب على حد... بس مين يسمع واناعندى عقول حديد ومصدية كمان).

رد سيف بتحفز وقال : (طيب ما تزعلش لو أنا اتقدمتلها؟) .

اعتدل محمد متفاجئ وتسائل غير مصدق : بتقول إيه؟... انت يا سيف؟.. دا انت مش بيعجبك العجب.. دا البنات كانت بتحفى على كلمة منك... هترضى دلوقت بواحده بتمر بأزمة نفسية زيها؟..

نظر محمد إلي ليلى بغطرسة طاووس انتفخت أوداجه... وقال : (هيا حلوة بس مش لدرجة أنها تعجبك... دا زمان كنت بقول أنت بالذات هتختار

أحلى بنت فى البلد... وهتكون مدلعة وحاجة كده من الأخر).

وجه سيف نظره لليلى هو الأخر وابتسم قائلاً : (محدش عارف الخير فين...).

ثم أعتدل بنظره لمحمد وقال : (المهم انت موافق من غير ما نخسر بعض ولا يكون فى أى حساسية فى الموضوع؟).

فرد محمد فرحًا : (لو عندك استعداد تتحمل المسئولية الكبيرة دى، وتجازف.. طبعًا هكون موافق، وسعيد، ويبقى جميلك فى رقبتى طول العمر...).

أنتهت الصدفة بينهم بطلب من السائق أن يغير مساره ويعود بهم من حيث أتى..

أما ليلى لم تعلم بما همسوا وخططوا واتفقوا ولم يكلف محمد نفسه عناء الشر والأخبارها... فمنذ أن دخلت فى نوبة الحزن القاتم منذ سنوات لم يستشيرها أحد فى أى شئ يخصها ووكل الجميع نائبًا عنها... وهى اعتادت على التنفيذ بدون مجادلة... عكس ما كان يحدث فيما مضى...

....

تفاجأة ليلى بتوقف السيارة أمام بيتها... وابن عمها يشير لها بالنزول... فلم تفكرمرتين.. وهى ترى الفرصة سامحة لها لتفر من هذا الغريب المتطفل وجرائته عليها لتحتمى ببيتها....

صعدت ليلى لشقتها... حيث ابيها الرجل الستينى غاضب بشدة كالعادة... فهو مقتنع أن الرجل

لكى يستطيع أن يحكم بيته ويتمسك بزمام أموره... يجب أن يرضخ لأحكامه المسبقة وإن فقدت الدليل...

صراخه وصياحه لابد أن تهز الأركان دون أن يجرؤ أحد على الوقوف أمامه.... حتى لا تفكر لبوته أو حتى أشبالها فى الوقوف أمامه...

دخلت ليلى بيتها وقبل أن تلقى السلام... بدأ والدها فى تكييل الصفعات على وجهها وجسدها لإعادة تربيتها... وقد لغى من حكمه معرفة الأحداث أو الأستماع للمبررات أو ماذا جرى بالخارج لها...

فقد قلق لخروجها صباحًا قبل أن تأخذ الأذن منه.. ولابد أن يكون لقلقه تمن... وهى فتاة ..

فيجب أن تكون كنسمة خاضعة لسلطانه...

ولكن عندما تتمرد وان لم يكن بصورة حقيقية

يجب كسر ضلعها حتى تعود وتستقيم... لم يسأل

أين كانت ولكن يكفيه أنها غابت لبعض الوقت

دون معرفته... يكفيه أنها خرجت عن سيطرته

على الأمور... إذن فتوجب العقاب... تحت أى بند...

لا يهم... ولكن حكم عليها ونفذ الأمر...

بالرغم من حنان والدها إلا انه لا يتفاهم اثناء

غضبه... فاذا غضب ترضخ المعطيات لنتائجه...

دون النظر للمطلوب إثباته....

انقذها من بين عاصفة غضبه دخول محمد ابن

عمها وبصحبته سيف الذى وقف مذهول من

المنظر... فهل هذه الضعيفة لا يكفيها اوجاع

روحها القاتلة لينهال والدها عليها بالضرب

ايضًا؟... هربت ليلى لحجرتها بعد تدخل محمد بقوة ووقف سيف حائل بينها وبين والدها... شرح محمد لعمه ما حدث من كسر زجاج السيارة... واصراره على شراء البديل فى التو واللحظة حتى لا تسرق السيارة الغالية المكانة باكملها إن تركوها... وبعد ان هدأ اباها قليلًا تقدم سيف لخطبتها على الرغم من الحزن الذى شق قلبه وتراقص الوجع به عليها..

رفض والد ليلى رغبة سيف بكل حزم وصلف... متجاهلاً أن محمد هو من أحضره بنفسه... وأنه أثبت بالدليل القاطع أنه لا يريد ابنته.. وتجاهل وجود الأثنان ببيته وتركهم وغادر المكان...

أخذ محمد بيد صديقه وخرج من المنزل قائلًا :

(بعتذر طبعًا عن تصرف عمى ورفض واسلوبه

معاك... بس ده لأنه عامل حساب لبابا ومش عايز

يزعله... اصله ما يعرفش حقيقة مشاعري

ليها...فلو لسه عايزها؟ أنا هتكلم مع بابا...

وكده مالهوش عذر وأن محدش هيتقدملها

وصدقنى هعرف أقنعه وخاصة إنك شاب كويس

وجاهز وهما لو ماوافقوش عليك عن نفسى أنا مش

هاتجوزها...وخليها تبور وتقعد فى وشهم وهما

أحرار...).

بعد المناقشة والمداولة بين محمد وسيف...

اتفقوا على ترك الموضوع لمحمد وفى اللحظة

المناسبة سيخبره ليعاود طلبه... وانصرف

الصديقان ..

....

بعد أسبوع اتصل محمد بسيف ليبشره قائلًا : (يا عم خلصت الحرب الأهلية، وقدرت اقنع بابا بعد ما فقد الامل منى إن اتجوزها... وهو راح لعمى وقاله انه كان غاصبنى... واقنعه بيك بعد ما خليته سأل عليك بنفسه... وهنستناك الخميس الجاى...)

عاد سيف وكرر طلب الخطبة... وتم تحديد عقد القران والزواج بالمنزل فى حدود ضيقة...

مرت الأيام سريعًا على الجميع منشغلين بالتحضيرات... بينما ليلى صامته، حزينة غير مصدقة لما يدور فى الفلك حولها... حتى أستفاقة ووجدت نفسها واقفة أمام سيف فى شقته

بمفردهما... فتاكدت أنها لم تكن تحلم وما حدث لم يكن كابوس وتنتظر الإفاقه منه...

دار أمام خلدها شبح الأيام الماضية ... وهى ترى الجمع يتحركون، ويقررون بحياتها ماعاداها... لم يكن هناك أى دور لها ولا رأى وكأن الأمر لا يعنيها...

....

سقطت دمعة مقتولة من عين ليلى عندما حاصرها سيف بنفس النظرة.. تذكرت ذاك اليوم الذى وقفت فيه مستسلمة لكل طعنات أهلها وأرائهم بصمت مطبق... بدًا من فسخ خطبتها من ابن عمها الذى وقف يصرخ أمام الجميع... لينتهك الباقى من ماء وجهها ويصرح بأنه لا يريدها ولم يوافق

على خطبتهم من البداية إلا إمتثالًا لاوامر والده واجباره له... ونسى تمامًا أنه لم يؤخذ رأيها ايضًا فى خطبته أو الزواج منه من الأساس...

زحفت ليلى بإنكسار لخارج المكان بعد أن تقابلة بنظرات سيف المشفقة عليها بعد إعادة رأى ابن عمها فيها أمام أهل سيف ايضًا... بينما تخفى حزنها خلف جدار الصمت ولم تعلم أن جدارها مشقق... هش ..ايل للسقوط... والكل يرى ما خلفه بوضوح... ولكنهم اعتادوا على شقوقه فتركوه دون عناء السعى للترميم..

كعروس للمريونت تنقلت خيوطها من يد ابن عمها إلى ذاك الخاطب الجديد... كلًا يلقى عبئها على غيره... ويلوز بالفرار... ولم يتسائلوا

كيف ستكون حياتها معه؟... سعيدة ... تعيسة..

والأهم كيف ستقضيها طوع أمره ورهن إشارته؟...

وكالعادة لم يعر أحد أدنى اهتمام للسؤال....

وكما فعلت بخطبة محمد فعلَت فى خطبة سيف

... تلقت التبريكات والتهانئ بعين زائغة

ضائعة... ولن تجد من ينتشلها من بئرها الخاوى

الذى القوها فيه بدون رأفة....

لو كان عمها حى لما كان حدث بها هكذا...

ولم تكن هى لتصمت... ولكن الآن لو صرخت

وأنتحبت ستصرخ لمن؟... وفى من؟... ومن سيستمع

لها أو يعيرها إنتباهه؟... ولم يكن هناك بد من

أن ترخى للهمس المسامع... كالسكارى ترنحت

بين أحكامهم ... رغباتهم... وتحقيقها...

وكالمسلوبة الإرادة عصبوا عينيها وسيروها...

....

كانت روحها ترتقى.... تطلب التحرر من هذه القيود... تطالب بالصراخ والثورة.... بجسد صامت كالأموات.... حتى وصل ذاك اليوم... الذي لقب مجازًا ((بيوم فرحها))...

لا تعلم من لقبه بهذا الاسم؟ لكن كل ما هي واثقة منه... أن الفرح لم يطرق باب نافذتها في هذا اليوم ابدًا... كانت تشعر بالاختناق طوال اليوم.... تراهم يبتسمون... يتهامسون... يمزحون... وكانت هى كصنم... بدون حراك... فتركوها متعللين بعذر(توتر العروسة في مثل هذا اليوم)... ولكنها لم تكن متوترة... كانت

تنازع روحها بين البقاء والرحيل... كمن يصارع

بين الموت والحياة... فقد أكتفت من كل شئ...

اكتفت من تحكماتهم ورسم مستقبلها

بعقولهم... اكتفت من هذا الدخيل الذى لا

تفارقها نظرته الحنونة أو المشفقة من يوم

خطبتهم.... وكأنه سيكون أرحم عليها من

عائلتها بعقولهم الصلدة المتيبسة.... ظلت

تتنفس وهما يظنوها عائشة به... تحت نظراتها

الخرساء... حتى أطلقوا سراح أسرهم... بصفقة

صغيرة... وتبادل الأدوار... ليمكنوا غيرهم من

مفاتيح القضبان الجديد...

أحست بأن الكون كله يقبض عليها... ظلت

تجيد دورها ببراعة... تختنق بصمت... بدون

استغاثة... ولمن ستستغيث... أيعقل أن يكوون

سجانها هو منقذها؟... سخرت منهم جميعًا

وتركتهم يسوقوها لسجانها المغوار... حتى أغلق

عليهم أبواب قضبانها الجديد... ووقفت وسط

سجنها القادم... مع حارس جديد وجلاد أيضا اذا

لزم الأمر...

....

خوفًا اجتاحها... بلحظة... بعد أن سمعته يغلق

مزلاج الباب خلف مودعيهما من عائلتهما... ومع

همسته وهو يهنئها بزواجهما... رفعت وجهها ببطء

لتتبين ملامح ذلك الشخص الذى تسلل لحياتها...

مطالبًا بالحصوله على لقب زوج مع سبق الأصرار

والترصد...

لن تنجرف مع التيار... وتكذب احساسها بأنه أشد

شراسة وتقيدًا لحريتها من أهلها... ولكن لم

تساعدها بقايا قوتها الواهنة للوقوف ضده...

فقيدوها بأساور رائعة ذهبية... اشتراها بنفسه خصيصًا ليقيد معصمها بصكه بعد ما رفضت الخروج معه كخطيب لشراء الشبكة...

شعرت ليلى بالخواء والوحدة من حولها وبرودة تجتاح روحها فى هذه اللحظة بالرغم من أن أفراد عائلتها لم يبتعدوا كثيرًا عن بيتها الجديد... وكأن ليس هناك أثر إلا لمن يقف بثقة أمامها متمسك بكفيها ويطيل التامل الصامت بملامح وجهها الحزين الخائف الأن... فمن كان يحميها ويطمئنها دائمًا قد رحل وتركها تقابل مصيرها وحدها...

شردت ليلى تتذكر اختلاء والدها بها قبل رحيله وتركها مع المدعو بلقب " عريس "... تكلم بحنان وتأثر واخبرها بأنه لم يفرط بها... بل فعل ما أستوجب عليه دوره كأب... وكأن دور الأب محصور فى نقاط متتابعة متسلسلة... وفى نفس الوقت متعارضة مع أحلام فتياتهم... حتى لو كسروهم وهدومهم حتى لا ينفرط عقد هذا الدور...

فهى فتاة.. وجميلة حتى لو لم تؤمن بجمالها يومًا... ومهما طالت الأيام فلابد أن تتزوج... وبعد إصرار ابن عمها على فسخ الخطبة بهذا الشكل المهين... وبعد أن جلبت لهم الفضيحة بين القريب والبعيد بسخط ابن عمها ونكرانه لها... كان سيف هو طوق النجأة ليعيد رفع هامتهم...

ويحررها من أقويل الناس عن الطعن بأخلاقها وشرفها إن لزم الأمر...

وبما أنه هو والدها... فهو أكثر شخص يعلم بمصلحتها، ويهمه شأنها... فيجب أن تتقبل الأمر وهى معصوبة العينين... وواثقة بإختيار أبيها وقراراته دائمًا بدون جدال... وهو سيخطط لمستقبلها بخبرة الشيب الذى لم يملأ فؤديه من فراغ...

صرخة ليلى بصمت كالعادة... فلم يستجب لصراخها بشر... تمنت لو ترمى بوجهه الحقيقة التى يتغافل عنها.... ألم يكن والدها عندما وقف فى طريق نجاحها ولم يدعها تستكمل دراستها بعد الجامعة.... ألم يكن والدها عندما ركعت

تقبل كفه وترفض الإرتباط بأبن عمها المتهور... ألم يكن والدها وهو يضربها عندما أخبرته أنه أصبحت معيدة بالجامعة... وستحقق أحلام لم يحققها رجال غيرها... ألم يكن والدها عندما كان يصفعها كلما دس أحدهم خبر عنها بدون أى دليل.... ألم يجعلها علكة تدهسها أقدام عائلتها ليرضى غروره ورجولته أمامهم بأنه الحاكم النهائى بأسرته.... والأن بتصميمه على الزواج من هذا الخاطب الجديد... عليها أيضا القبول والاقتناع بأنه الأفضل... وبالفعل أغمضت ليلى عينيها وصمتت وهى تساق لذبحها باستسلام أدمنته...

....

تأمل سيف عروسه الجالسة جواره وسحرها

الهادئ... الراقي... الحزين... الأسر.... وابتسم

بسعادة وهو يتشبع من ملامحها... طال تأمله فيها

من منبت شعرها حتى نهاية فستانها الأبيض

والمطرز بفصوص فضية.. قد أختاره بنفسه

ككل شئ يخصها...

شئ بها يجعل قلبه يدق بعنف... فسار وراء

دقاته... ليشبع فضوله قبل أن يبدأ فى فك

أحاجيها المعقدة.... ويتأملها لأول مرة بحرية...

وسعادة... بحنان تجبر قلبه على البوح به...

يعلم أن بدايتهم صعبة... ويكاد يجزم بنفورها

منه... لكن روحه تعلقت بها... أسره حزنها...

واولد لديه كل طاقات التحدي... سيأسرها كما

أسرته... وسيبدل حزنها فرح... وسينتشي بفوزه

بضحكتها... وسيرسم معها خطوات صفحات

حياتهم القادمة... وسيراعى جيدًا كل ما يؤلمها

وسيقصيه من حياتها..

وعدها سرًا بالظفر بها راضية...

واقسم على هذا الوعد وتحقيقه...

انتشلها من بئر أفكارها جاذبا كفها متخذًا دور

المرشد السياحي المتعمق فى خبايا المنطقة

الأثرية... وهى يحاول إضفاء المرح على عروسة

الجميلة الحزينة دائمًا منذ أن رأها..

أخذ في شرع أبواب الغرف... واستخراج كل

مفاجأته وما أعده لها لكِ يبهرها بدنياه...

ويجذبها لعالمه الجديد وللحياة معه... وهى

كالعادة تسير باستسلام بفضل قوى الجذب التي تصلها عبر كفها المتمسك بها بسعادة... لتقف أينما يوقفها.... وتسير أينما يوجهها... كإنسان آلي يسير عبر جهاز التحكم الذي يمتلكه سيف الآن... بعد ما سلمه والدها له....

أيقن سيف فشل محاولاته للحصول على بسمة صغيرة.... تنبأه بنجاح مسار خطته... ولمس منابت الحزن الذى تضاعف الآن بعد زواجها... كالشاة التي تساق لذبحها.... دون الإهتمام بما يجول بخاطرها... توقف عن الكلام... وخفتت بسمته وهو يرأى دموعها التى تجاهد لتحجزها داخل مقلتيها بدون فائدة تذكر... فقرر حسم الأمر... واخذها إلى الحجرة الأخيرة بنهاية رحلتهم...

حجرة النوم... ليبدأ ما انتواه... ووضع أول خطوة على المسار الصحيح...

....

أجلسها اخر من تتمنى وجوده بحياتها على سريرهما متساقطة الدمع.. مضطربة الفؤاد.. مسلوبة اللب.. مرتجفة الخلايا.. مشدوه مما هو أتى.. وجلس هو بقربها بفرحة أقرنائه ممن يمتلكوا لقب "عريس" بليلة زفافه..

وهى..

بكل خنوع لم تملك حق القبول ولا حتى الرفض.. سيرت بأوامرهم الخانقة لدرجة الموت.. وها هى تنتظر المزيد من القهر والحرمان بكل خنوع وأستسلام..

حركة على كفها نبهتها إلى وجوده... وبحت صوته ايقظتها إلى ثرثرته التى لم تتوقف منذ حصوله عليها فى بيته.. سلمها أهلها له بصك ملكية موقع ومشهور بأيديهم.. ورحلوا بكل بساطة زافرين براحة التخلص منها ومن العبء المحمل على كاهلهم... رفعت عينيها المحمرتين من أثر الدموع التى لم يتوقف سيلان مجراهم.. وتطلعت لملامح وجهه التى ذكرتها بأول لقاء شؤم أودى بها إلى عرينه وسلسلها بقيوده...

وازاها سيف على الأرض مستندًا بإحدى ركبتيه عليها... ليكون مواجهها... لعلها تعود من شرودها .. وتعطيه بعض من أنتباهها... بعد أن ايقن أن كل ما قاله لم يصل لمسامعها منه شئ....

تمني بداخله أن ينجح فى مهمته التى تستفحل صعوبتها كل يوم... فتزيده إصرار أن لا يقوم بها غيره... ولن يتراجع، ولن يستسلم، ولن يقبل إلا بالفوز بمعركته ضد الحزن... التى تشبس بمخالبه من قلبها الرقيق... ليحتله ببراعة لم تقاومها هى...

هى تستحق أن تحيا مشاعر مختلفة عن الحزن، والضياع، والقهر، والألم، والخوف... فقد تكون فرصتها.. يجب أن يساعدها لتتشبث بها... وبعد أن وقف على مجريات حياتها السابقة... لن يسمح لحزنها الدفين بأن يدلف لحياتهما كما دلف لعزلتها.... منذ أيام لم تعد تحصيها بعد...

رفع وجهها بأطراف أنامله مبتسمًا بحنان ... فنظرت لسواد عينيه ... متسائلة ما ينتظرها من قدر محتوم خلف هذا السواد...

اكملت عباراتها مقلتيها مرحلة تدفقها... ورأى إرتجافها الذى زاد وصله عبر أناملها التى ارتفعت لشفتيها لتكتمها... فقال بعزم وهو يبدأ فى أولى خطواته نحو أتونها المظلم : (مش عارف إزاى... ولا حتى ليه انتى بالذات؟... وبرضوا مش عارف ليه اول ما محمد حكالى حكايتك حسيت إن صعب اسيبك؟... حسيت إنى لازم أحميكى من كل الناس وأولهم نفسك... يمكن ربنا بعتنى فى اللحظة دى عشان أكون جنبك واخد بإيدك... عايزك تنسى انى جوزك.... إعتبرى جوازنا ده على الورق بس... أو اعتبريه اطار شرعى

يحلل وجودنا مع بعض.... انسى إنك ملتزمة
بحاجة ناحيتى... انسى إن ليا حقوق ... تعاملى
معايا كصديق يهمه أمرك وعايز مصلحتك...
اشكيلى وجعك وهمومك واى حاجه جواكِ...
إحكيلى عن كل حاجة مخبياها عن الناس
ووجعاكِ... خرجى كل المستخبى ورا دموعك
ومخوفك...

واوعدك ..

مهما كان اللى سرك هسمعه.. هحفظه.. ههتم
بيه... هنصحك ... البيت ده خلاص بقى
بيتك... بتاعك أنتى يا ليلى... ممكلكتك
انتى وبس... أعملى فيه اللى يعجبك...
وإعتبرينى يا بنت الاصول ضيف ... ويا ريت ما
اكونش تقيل...

شايفة فى الدرج اللى هناك فى كل الفلوس
الباقية معايا من بعد ما خلصت تجهيز الشقة...
كان نفسى إعملك فرح كبير تستحقه بنت فى
طيبة قلبك والكل يحكى عنه... بس قالوا
إنك مش عايزة فرح... وانتى كنتى بترفضى
تكلمينى عشان أحاول أقنعك...

خدى الفلوس اعملى بيها كل اللى نفسك فيه...
اشترى أى حاجة..أو تعالى نسافر أى مكان
تحبيه... أو شوفى الشقة لو ذوقى مش عاجبك
فى حاجة قولى على طول ونغيرها ... أو ممكن
تحتفظى بيهم... براحتك... الفلوس دى خلاص
بقت بتاعتك فكرى إنتى ممكن تعملى بيها
ايه؟ من غير خوف من حد... ولا حتى انا... كل
اللى تحتاجيه قولى عليه من غير كسوف....
عايزك تتصرفى بحرية...غيرى اللى مش

عاجبك فى البيت... إكسرى أى حاجة

مضيقاكى فيه أو نبيعها... وإحتفظى بالانتى

عايزاه... فكرى فى ليلى وبس.. وأسئليها هى

عايزة ايه... وعرفيها سيف بقى دوره فى الحياة إنه

يلبى طلباتها ويفرحها وبس...

صمت سيف قليلاً... لم يحب أن يفتح جرح قلبها

بنفسها... وتمنى أن يكون أستطاع أن يعطيها ولو

القليل من الأمل فى حياتها معه... أو حتى يكون

أستطاع التربيت على وجع قلبها فيعزيه ويرثيه...

لن يفتح أول أبواب حياتهم الجديدة تحت وطئت

حزنها ... أراد تنحيته جانبًا اولاً... ثم الفرار بها...

ليدخلوا عالمهم بمفردهم دون أى شريك...

فاكمل بصدق:

_ما تخافيش من الدنيا يا ليلى طول ما أنا

جمبك... اعتبريني سندك وحمايتك وكل

اللى تؤمري بيه إن شاء اللّه جاهز بيه... حاولى

ترجعى لنفسك وترضى بقضاء اللّه وكملى

عمرك عشان ربنا هيحاسبك عليه... وانا

معاكى وجنبك فى كل لحظة... طول ما فيا

نفس.. وقلب بيدق مش هخذلك ابدًا...

ارتجفت شفتى ليلى وشحب وجهها وهى تتلمس

اغداقه لحنان افتقدته منذ سنوات...

تسأل سيف سؤال ربما يجرها لشاطئه به... وقال :

(احكيلى يا ليلى عايزة ايه؟ نفسك فى ايه؟

بتحبى ايه؟ تحبى تشوفى ايه؟ ما تحبيش تعملى

ايه؟ عرفينى ليلى جواها ايه أو بتطلب ايه أو مين أو فين؟)

شقت روح ليلى غصة... وكلمات متعثرة جادت بها روحها من بين كهوف أحزانها... وقالت بعد ما فقدت الطريق ووقفت ضائعة حائرة بدون دليل

(اللى عايزاه خلاص مات)...

بدأت بعدها فى نوبة بكاء مريرة... جعلت من سيف يشب من جلسته مسرعًا... ليضمها بقوة تجابى حزنها... وربت على رأسها بحنان قائلًا

_ الله يرحمه...

تتشبث ليلى لا إراديا بملابسه بقهر... بكت كثيرًا... فهل تملك النساء سوى الدموع لتعبر عن ضعفها... وجعها... وكل ما يكسر قلبها من هؤلاء البشر...

همس سيف بكلمات بسيطة مطالبًا منها بأن تحكى له عن عمها وما جمع بينهم... ولما تعلقت به هو بالذات عن غيره من قبيلتها... وماذا أفتقدت بعد غيابه... وما أكثر شئ تتمنى وجوده الآن فى حياتها...

تسائل سيف كثيرًا... وحاول أن يضع أمامها كل الأحتمالات.... لعله يجلب منها بعض الكلمات ليهتدى بها فى نفقها المظلم...

يريد بشدة أن يحتويها ويعوضها ما حرمت منه وكسرها بهذا الشكل... ولكن لن يكون بدلاً من عمها... سيعوضها كسيف ويزرع حبه بقلبها بشخصه ولن يكون بديلاً لأخر... سينتشلها من

دنياها لعالمه... ولن يقع فى فخ أحزانها

لتستجلبه...

همهمت ليلى بتلعثم... فسمعها سيف بشغف...

مدققًا ومحللاً كل ما يجيش به قلبها... ناحت

كالحمام... فهدهدها برقة... فباحت ببواطن

الأه... وطال بهما الليل... وهى تشكو اليه... منه

ومنهم... ضعفها.... وفراغ العالم من حولها....

حكت كيف بتروا أحلامها... ووجدت نفسها بين

عشية وضحاها وحيدة.... ضائعة... خائفة...

بقلب يتراقص رعبًا من المجهول.... شكت له

كيف هانت على الناس... القريب والبعيد من

بعد عمها... كيف سعوا لكسرها وتلجيم حياتها

بعد أن كانت أحلامها بعرض السماء... كيف

ظهرت بشاعة مخالبهم أوهكذا خيل لها بعد أن

فقدت سلاح المقاومة... قتلوا روحها

بتحكماتهم... قصقصوا ريشها حتى لا تعاود

التحليق ثانية... تلذذوا بدك حصونها التى

حاوطها بها لسنوات... وكل مرغوب ممنوع...

ولأنها وفقط... فتاة... يجب أن يخضع جموحها...

لمعشر الذكور.... يحكموا فتنفذ... يأمروا

فيطاعوا.... بدون نقاش... وبدون جدال...

وبعد رحيله... وقفت تتمسك بحلم عاشته

لسنوات معه تغذيه وتنميه... بطموح ظننته

حقها... فتوالت صفعات القسوة لترويضها... من

كل فج ورحال ....

أخذ والدها النصائح من الجميع... وهل يجرؤا على

تخطى رأى العشيرة... قسوا قلبه... أوهموه بقيود

العادات... وامسكوه سياط الجلد... حاكموه عن
دلال عمها السابق.... وكيف ترك ابنته له كل
هذه السنوات ليحلق سقف أحلامها بعيدًا... فتنجز
ما لم يستطع انجازه الذكور من أقرنائها... والآن
من سيقبل بها.. وستصبح حملاً ثقيلاً عليه...
ذكروه بأنها فتاة فلا رأى لها... ووجب عليه
ترويضها... قبل أن يتفلت زمام الأمر من بين
أصابعه ثانية... فتعلو كلمتها على كلمته...
ويصبح علكة المجالس... بسبب فتاة صغيرة...
تسير فى درب الشباب بطموحاتها الهوجاء...

وتوالت الأحداث... وتوال دق المسامير فى
نعشها...

أنسابت الكلمات على شفتيها... تشكوا...
فتتذكر... وتنتحب.. وبين جفنين مترنحين

...بين اليقظة والنوم ... اكتشفت أنها لأول مرة تبوح بمكنوناتها لأحد... ومن هو؟... هو الغريب الذى كانت تخشاه...

وتسائلت....

كيف دفعها بقليل من الحنان المفتقد...للكشف عن ما لم تفكر بالبوح به من قبل لأحد؟... الهذا الحد هى مثيرة للشفقة؟... أم أفتقادها لتربية حانية وأحتواء كانوا الفخ الذى وقعت به؟....

ومع هذا فهى تعترف بأنها.... تلمست مع رقته ودفء حديثه وتفهمه.... ما حرمت منه من عطف وأمان... بعد أن أعادوا غرسها فى وسط صحراء جدباء... وكسروا أغصانها بدون رحمة... وتركوها تتلهف لشربة ماء... حتى شكلت للظمأ معانى وحروف على منابتها... وجدت فى هدهدته

لألامها ما واساها عما ضاع منها... وعندما أبرم

معها الوعود والمواثيق ليقدم لها ما تتمنى...

غاصت عينيها مبتسمة فى عبق غفوة ... فشعرت

أنه ليس وحشًا كما اعتقدت منذ لقائهم الأول...

وربما بعثه الله لينظف جرحها الذى تمادت

قروحه... وتملك روحها وحياتها بدون طبيب

يغيثها مما تعانيه... من ويلات الألم...

ويتردد بداخلها قوله تعالى (ما اخذ الله منك الا

ليعطيك).

أما سيف أدمعت عينيه عليها شفقة... وهو يبدأ

حربه الخاصة... حربه الذى اختارها بكل

إرادته... حربه الطويلة مع حزنها... خوفها...

هروبها من الحقيقة... والناس... والحياة... حرب

كان قائدها ووقف شامخًا أمام عدو فتك بجزء

من روحه فإستباح رقتها وحنانها وبرائتها... وقرر هو على قتله بهدوء وبرود وصبر... ليظفر فى النهاية بالفوز الذى لن يتنازل عنه... وتولد روحها معه من جديد ... وبدأ بالفعل حربه... واكتشف فى ساحة المعركة خبايا أبار الوجع المتشبسه بقوة بين صدرها... ويحاول زحزحت مكالب الخوف من حناياها... ويقرع أبواب تنتفض من المجهول... وبدون أن ينتبه غاص معها وتمايل مع ألحانها الموصومة بالحرمان... وبأعتداد أشار لفجر جديد مشرق ليس به غيوم أو عواصف... ووعدها بأن بين جدران سجنه كما تتخيل ستجد حريتها المسلوبة... وعلى غطاء وسادته سيمنحها الراحة...

حاول تصفية حسابتها القديمة مع نفسها وأهلها وكل من أذاها ببسالة فارس شجاع... وبحكمة

طبيب ماهر... ففتح الجرح ووضع أدواته على الورم بحنكة ليستئصله... وهو موقن ويعلم أنه لو نجح معها فى ليلتهم الأولى ستهون كثيرًا فترة النقاهة فيما بعد...

أغمض سيف عينيه بجوارها مع ساعات الفجر الأولى مبتسمًا... متمنيًا تحقيق تحديه.. ويبدأوا حياتهما كبداية الصباح الجديد لهذا اليوم...

....

فى منتصف اليوم استيقظ سيف على رنات هاتفة لتخبره عائلته بقرب قدومها كما تنص العادات والتقاليد فى اليوم التالى للعرس... الذى يلقب ب"الصباحية"....

نهض سيف بهدوء حتى لا ييقظ ليلى... وخرج يهاتفهم بالخارج ليؤجل الزيارة حتى المساء لأنهم لم يستيقظوا بعد... توضأ سيف وصلى وقام بتجهير الفطور بنفسه... وعندما عاد وجدها مستيقظة بوجه مغضن بالألم من الصداع الذى كان يتوقعه... تحاملت ليلى على نفسها وقامت وأدت فرضها.... برفق حاول معها لتتناول بعض القيمات ... ثم عادت إلى فراشها ودخلت فى ثبات عميق بعد أن ضاعت فورة الألم...

ظل سيف بجوارها يتابع رحلة تأمله لملامحها... ويتذكر هذيانها فى الليلة الماضية... ويستشعر كم عانت فى السنوات المنصرمة...

مساءًا ومع حضور الأهل والأقارب من عائلتهما...

دخل سيف غرفة نومه ليستدعى ليلى... فوجدها

تجلس على حافة الفراش متمسكة به

بشدة...منكسة الرأس ... خائفها ... ترتجف من

مواجهة كل هذا العدد من الناس... وان كانوا

أقاربها مع أقارب سيف... احتضن سيف كفيها

بحنان... وذكرها بأنه معها دائمًا ولن يتركها...

ومع بعض الكلمات المطمئنة الواثقة... بدأ

سيف فى إزاحة أولى هذه الأغطية الثقيلة... التى

كفنت بها روحها فخنقتها... وحالت بينها وبين

مباهج الحياة...

بعد أن هدأت رجفتها قليلًا خرجا متعانقين

الكفوف وابتسامة سيف تزين محياه... وكانه

فاز بمن لم يفز به أحد... حاولت ليلى الإندماج

معهم على الرغم من طول صمتها ... وإن تعثرت

خطوات تجربتها يضغط كف سيف على كفها الذي لم يفارق كفها... ليذكرها بوجوده....

وهي... كطفلة تتشبث بكف والدها فيبثها الثقة... ويردع من يحاول النيل منها... في البداية كان ضغطها على كفه نابع من توترها... وعندما وجدت استجابت سيف السريعة ومؤازرته... بدأت تتكل عليه في عقباتها المتذبذبة... وتبدأ برمى حمل أثقل كاهلها المتعب عليه... بدون تفكير...

بعد رحيل الجميع... قام سيف بإعادت ترتيب المكان... وعلى استحياء بدأت ليلى بمشاركته...

حاول سيف كتم إبتسامته سعيدة على خجلها

الشديد وارتباكها من مشاركته... ولم يمنع الأمر

من سرقة بعض النظرات المتوارية... حتى لا

يفتضح أمره وهو يوهمها بعدم التركيز معها حتى

لا تهرب منه...

وفى أثناء ترتيبهم الصامت الخجول... تعسر سيف

بقيثارة كلماتها... ولم تكن كلمات... بل

كلمة ببعض الحروف البسيطة الدارجة...

المعتاد علها... ولكن الأن سمعها كمعزوفة

رقيقة مرت من امام صمام اذنه فاطربها... :

((شكرًا))...

فقط بدون مقدمات... شعرت ليلى بعد تفكير

بالإمتنان لسيف الذى يؤاذرها... فانسابت الكلمة

من شفتيها بعد بتلقائية...

تردد لم يعيه وتعثر فى بنيانه... رفع سيف وجهه بهدوء متسائلًا عما همست... أجلت ليلى حنجرتها وحاولت رفع صوتها ظنن منها أنه همستها لم تصله... صمت بعدها سيف للحظات متسائلًا بداخله كيف لم يكتشف أمس ما اكتشفه للتو...

اقترب منها حائرًا هل لأن صوتها بالأمس كان يخالطه الدموع ويشاركه الشجن؟... فكان يتلقى منها الحروف والكلمات بصعوبة ويحاول تجميعها وترتيبها ليفهمها...

توقف أمامها مضيقًا حاجبيه بفضول... فتعالت وتيرت قلبها وتذبذبت دقاته ارتباكًا....ورددتها من جديد.. نطق سيف خلفها بتأكيد : بتقولى ((شوكرن))؟؟

أومأت ليلى بالإيجاب بحذر... فانفرجت شفتى

سيف بإعجاب.. وامسك بزمام أطراف أناملها

وأجلسها أمامه ليستكشف باقى خباياها...

فطاعته هى بأستسلامها المعتاد وإن شابه الخوف...

جلس سيف بجوارها وطلب منها بهدوء الترديد

خلفه ما سيقوله.. ثم بدأ فى تمتمت بعض

الكلمات... وفجأة تعالت ضحكاته... ومع نظراته

السعيدة الماكرة تلبث وجه ليلى الخجل فخفضته

أرضًا... وهى تفهم ما قصده اخيرًا....

صاح سيف قائلاً : (انتى عندك لدغة فى نطق

بعض الحروف جميلة قوى؟؟ لا بس ده مش

لدغة... امممم إنتى الحروف عندك بترققى

المفخمة ولا بتخففى المرققة.... لا لا لا ... مش

عارف بس نطقك ليها لذيذ قوى... إنتى بتقوليها إزاى؟)

حاولت ليلى الوقوف بعد ما أغرقها بين أمواج الخجل... فتمسك سيف بكفها... وهو لم يأذن لها بالرسوا على مرفأ بعد... وعاود قائلًا بغزل ممازح

_كلامك طعمه زى البسكوته اللى متغمسة بكراميل... قوليلى بقى... يا ليلتى عشان كده كنتِ دايمًا ساكته من وقت ما خطبتك؟

جذبت ليلى كفها منه وقد بلغ بها الخجل مبلغه... وقبل أن تتعثر بخطواتها هتف سيف قائلا : (ليلى بالله عليكي.. حتى لو عايزة تبقى أخر مرة دى.. بس قولي ريف..)

قالتها ليلى بخفوت وارتباك... فأكمل سيف مقهقها...

_يا ربى على الجمال... طيب عشان خاطرى قولي أرياف...

نظرة له ليلى وقد بدأ الشك يتسرب لبواطنها... هل هو فعلا معجب باللكنة الخاصة بنطق حروفها أم يستهزأ بها؟...

اقترب سيف منها وكأنه قد بدأ بقرأة أول سطورها المبهمة... ولكنه تجاهل الجواب عن عمد... فكما عقد العزم أن يستكشف خباياها... فسيتيح لها الفرصة بأريحة لتكتشفه... فإن كانت أجبرت على الزواج منه... لن يدعها إلا وهى تختاره وبكامل ارادتها... فترك نظراتها معلقة تبحث عن الإجابة... وأدار سياق الحوار

لدفة أخرى...قائلًا ومازالت الأبتسامة الواسعة
تزين محياه

_بتحبى الأرياف؟

رمشت له ليلى بعدم فهم... فلف ذراعه حول
كتفها بتلقائية... ورفع ذراعه الأخر مشيرًا
للسقف المنقوش أعلاهم ... والمزين بعدد من
الأشكال المزخرفة بمرايات عاكسة...
وبحالمية همس : (يعنى البهايم... الطين...
الناموس فى عز الليل... الترعة... وتحت السجر يا
وهيبة ياما كلنا برتقال..)

افتر ثغر ليلى عن ضحكة بشكل عفوى لم
تستطع مقاومتها... عندما بدأ سيف فى دندنت
جملته الأخيرة بشكل مضحك... فابتسم وهو
يتأمل ملامحها دون أن يدرى أنه يفعل... ثم قال

وهو يغمز لها بشكل مضحك : (ايه صوتى عجبك قد كده؟...)

فتعالت ضحكات ليلى حتى أنها اتكات على مقدمة الكرسى الذى يجاورها.. فهتف سيف بحنق مفتعل : (بقا كده؟ طيب إعملى حسابك بعد يومين هنسافر البلد... وهشوف قدرة تحملك كام نموسة فى الليلة؟...)

أجابته ليلى بايمائة موافقة من رأسها... وهى تتركه وتختفى خلف أروقة حجرتهم الخاصة... فتبدلت ملامح سيف من الحنق المفتعل وارتسمت ابتسامة حنونة على ثغرة وهو يدخل الحجرة المجاورة وينفرد بنفسه لبعض الوقت...

....

مر يومين وسيف يحاول التسلل خفيه لقوقعة ليلى التى غلفت بها نفسها لفترة طويلة... ونزع خفافيش الظلام التى جعلت من حياتها مأوى... دللها كأبنته... جاورها كطيف بأيامها... فهمها أكثر مما هى تفعل مع نفسها... والأهم أنه أحبها أكثر مما كان يعتقد أو يظن... فأصبح لها صديق هادئ مشاغب أحيانًا... يحاورها بالألفاظ... يخجلها ليتلمس بواطن رقتها... يلاعبها بكل شئ واى شئ وفى اى وقت حتى يمنع عنها عزلتها... ولم يمل حتى ينتهى اليوم أو تنتهى طاقتهم...

ضحكوا كثيرًا كما لم يضحك كلاهما من قبل...وكان الضحك بالنسبة لليلى قد أكتشف حديثًا للتو.. فكانت تخجل من ضحكها أمام سيف... وكان شفتيها اعتادوا على الحزن وفقط... فتكتمها وتهرب من أمامه... لتكملها على هيئة

إبتسامات متقطعة نافرة من قوقعتها داخل إحدى الحجر...

تنفرد بنفسها لدقائق وتتذكر مشاغباته اليومية معها... فتكمل ابتسامتها أو ضحكاتها بدون صوت حتى لا يفضح أمرها... ولكن سرعان ما كشفها سيف وأخبرها بأن الضحك أصبح مصرح به دوليًا...وأصبح لها حق مكفول به من الدولة... وانه بصفته محامى ومحسوب على الدولة كرجل قانون... يفكر فعليا بإحضار مرسوم من وزارة العدل وربما بختم وزارة الصحة ايضًا.. يؤكدون فيه صحة موقفه... فتتعالا ضحكات ليلى وتتبعها بغيرها وهو لم تنتهى...

....

كلما جذب ليلى الوجع فتعود لشرودها والأنغلاق بقوقعتها... يجذبها سيف بمتع الحياة والخروج من مقبرتها... استمتعت ليلى بصحبته وبدأ وجهها يشرق... وترك علامات الشرود التى اعتادتها بجداره... أصبحت تبتسم وتضحك بعد أن كانت عينيها لا تحمل سوى الحزن والدموع...

شاركها سيف فى كل الأمور... حتى هوايته المفضلة في النحت والنقش على الخشب... علمها كيف يقوم بها ليشاركها فيها... راقت لها مرافقته فى هوايته... فغمسها فيها....

فكانوا يقضون ساعات طويلة بين معدات سيف البسيطة التى يمارس بها هوايته وبين الأخشاب التي ولأول مرة تقوم ليلى بتقطيعها بمنشار صغير...

فى البداية كان كفى ليلى يرجفان بخوف من مغامرتها الجديدة... وعندما زرع سيف بذور التحدي بداخلها ... حصد ثمارها الغناء... وأخيرًا وجد من يشاركه اهتمامه...

....

بعد عدة أيام سافر سيف وليلى إلى بلدة جده ومنبت رأسه الأصلية كما وعدها... كان يجاورها طوال الطريق الذى أقلهم لوجهتهم... وأخذ دور المرشد السياحي مرة أخرى... واكتشف بصدمة أن حتى ابتسامته بدأت تتعلق بحروف بسمتها لترى النور هي الأخرى... وعلم أنه تعلق بها وبحبها لدرجة لا يستطيع منها العودة أو الفرار لو

حكاوي البنت

فشل فى مهمته... فزاد أصراره على النجاح والفوز بقلبها...

على بعد عدة أمتار من منزل فخم يحيطه سور متوسط الطول... يفترش أعلاه باقات من الأوراق الخضراء لتدلى من الجهة الأخرى ببعض الأغصان الممتلئة بالثمار الصفراء لحبة اليوسفى بشكل بديع... وأمام بوابة خشبية منقوشة برسوم بارزة لم ترى ليلى مثلها من قبل.. أصطف صفان من القصارى المملوئة بالورود المختلفة والريحان... سارت ليلى بجوار سيف تتلفت بسعادة على جمال البقع الخضراء الشاسعة والتى لم تحظى برؤيتها من خارج الكتب والتلفاز... كان المنظر له الأثر الفورى على نفسيتها... فاضافة لروحها الصفاء والراحة...

اجتمع سيف وليلى بأسرته فى صحن الدار... وبعد السلام الحار والمباركات جلسوا جميعًا لتناول الطعام.. حيث تبادلوا أطراف الحديث..

رأت ليلى مدى طيبة أهل سيف وبساطتهم.. واعجبت بالأكل الفلاحى... وشعرت أنها تجلس فى أحدى المسلسلات العربية التى تتحدث عن الصعيد وأهله وعاداته... اثنت ليلى علي "الفطير المشلتت" ومذاقه وأندهشت من شكله المختلف عن الفطير المعتاد التى تراه فى المخابز بالمدينة...

اخبرتها الجدة بود بأنها ستعلمها لو أرادة تعلم طريقة صنعه.. وبعد الأنتهاء من الأكل قامت ليلى بتغيير ملابسها على عجالة بعد أن أستعجلتها

قريبة سيف لتعلمها برفقة الجدة طريقة عمل الفطير المشلتت... مما أثار ضحك سيف على حماس قريبته وانجذابها لليلى..

أخذت الجدة والخالة حنان ليلى إلى المكان المخصص للخبيز خلف الدار.. وجلست ليلى على ركبتيها أمام وعاء الخبيز الذى يسمى "الماجور" وقامت خالة سيف بسكب الدقيق فيه وتلته ببعض الماء وطلبت من ليلى تحريكه حتى يتجانسوا ويصبحوا عجينة متماسكة سهلة الفرد.. ادخلت ليلى ذراعيها ب"الماجور" ... وقامت بتحريكهما كيفما علمتها الخالة ولكنها تفاجأت بثقل الدقيق على ذراعيها.. وعدم قدرتها على تحريكهم إلا بمقدار قليل..

صوت ضحكات سيف أتاها من خلفها على محاولاتها الفاشلة... فرسم الحنق والعبوث على ملامحها من كلاهما... اقترب سيف بمكر وأزاح خالته جانبًا بمداعبة وتفاجوا جميعًا به يغرس ذراعيه مع ليلى ليشاركها العجن..

نهرته جدته وامرته بالأبتعاد عن أعمال النساء.. ولكنه لم يبالى بنهرها وتوبيخها ولن يترك فرصة ممتعة هكذا للعب مع ليلى ويرحل.. بحث خفية عن كفى ليلى بين العجين وخلل أصابعه بأصابعها.. فنظرت له ليلى محذرة بصمت وهى تحاول جذب كفيها منه بخجل داخلى تحاول أن تخفيه خلف ملامحها الحانقة... من مداعبته أثناء تواجد جدته وخالته بدون أن يشكوا فى الأمر..

قطعت محاولاتها صوت الجدة وهى تنهر سيف

وتضربه بعصاها على ظهره... وهى تشك بما

يفعله .. من استكانت ذراعيه بداخل العجين

ونظراته المتعلقة بليلى بمشاغبة... فانصاع

اخيرًا مجبرًا لترك كفيها وبدأ فى مساعدتهم

بالعجن بالفعل لأول مرة..

....

بعد الغداء ...اختلى سيف وليلى بأحدى الغرف

لينالوا قسط من الراحة من عناء السفر.. حتى

حل المساء فأجتمعت الأسرة في صحن الدار...

تضاحكوا كثيرًا حول صفحات الذكريات التى

جمعتهم.. حتي قالت فدوة بدلال لخالها : (فاكر

يا خالو سيف لما كنت بتجمعنا وأحنا صغيرين

وتقعد تغني؟)

إبتسم سيف وقال : (ياه إنتي لسه فاكرة؟)

فقالت فدوة بمشاغبتها المعتادة : (اه طبعًا .. يلا غنى بقى..).

رفض سيف الغناء فأصرت فدوة وساندها جميع من في المجلس... فنظر سيف لعين ليلي وابتسم القمر مع بسمتها الخجولة الفضولية فتغني قلب سيف قبل شفتيه...

الليل يا ليلى

الليل ياليلى يعاتبني ... ويقول لي سلم على ليلى

الحب لاتحلو نسائمه ... إلا إذا غنى الهوى ليلى

دروب الحي تسألني ... تره هل سافرت ليلى

وطيب الشوق يحملني ... إلى عينيك يا ليلى

لأجلك يطلع القمر ... خجولاً كله خفر

وكم يحلو له السفر ... مدى عينيك يا ليلى

لنا الأيام تبتسم ... ولا همس ولا ندم

وماذا ينفع الندم ... نديم الروح يا ليلى

بعد إنتهاء غناء سيف وقفت ليلى تتحاشا نظراته... وغادرة الجلسة بهدوء وخجل عكس قلبها المتقافز باضطراب... وعادة لغرفتهم تتسائل عن كنة هذه الدقات التى تعلن ولائها لسيف، وصوته، ونظراته، وكل ما يعلقها به، وما يجمعها...

وتسائلت بحيرة..

كيف تسرب إلي قلبها لتضطرب دقاته بهذا الشكل من دون وعي منها؟... كيف حطم حصون حزنها واخترقت حواجزها وعزوفها عن الدنيا؟... كيف دعاها لدنياه بدون دعوة ولا عنوان؟... كيف قيدها بحباله واصبحت تنتمى له؟... كيف ملك خيالها واخترق عذرية أحلامها؟... وأصبح يسكن تفكيرها بكل هدوء وبساطة؟... لماذا تزداد نبضاتها بمجرد ان ينطق اسمها ولو بشكل عابر.. ونظراته لها أمام الملأ وكأن الكون خلا من كلاهما... ماذا تفعل وماذا يدور من حولها؟...

غفت بينما لم تعلم أن سيف تأخر عن اللحاق بها حتى يجمع دقاته التى لم يعد يمتلكها بعد أن أحتلته ليلاه بأكمله...

....

خرج سيف بعد صعود ليلى لغرفتهم... متحججًا برغبته فى السير فى البلدة قليلاً قبل النوم... فى وسط أشجار اليوسفى سار سيف يستنشق نسمات الليل الممتزجة برائحة التربة الطينية والماء من حولها بينما تغطت بشذا ثمرات اليوسفى المنعشة.. أخذ سيف نفس عميق من هذه الرائحة الأخاذة... وهو يلقى بنفسه تحت أحدى هذه الأشجار... أراح رأسه للخلف ناظرًا للقمر بالسماء

وهو يسطع بشكل هلال لامح تتزين حوله النجوم..

ابتسم سيف بخفة وعينى ليلى تتوسط خيالاته الرومانسية... تتزاحم بين القمر، والهواء العليل، والليل البهيم بينما هو الذى كان لا يلقى بالاً بتلك المشاعر من قبل... ولم يفكر يومًا فى تخيلها...

هو ليس غرًا.. ويعلم أن هناك حبًا وهناك أحبه.. وهو نفسه قد أحب فى سنوات مراهقته... لكن لم يشعر بهذا العمق بداخله الممزوج بأشتعال بأوردته... لم يذقه من قبل ولم يكن يدرك أن هذه الفتاة الحزينة دائمًا... الضائعة على الدوام... ستتملك كل هذا القدر من المكانة بداخله خلال هذه الفترة القصيرة... هو

لم يفكر أساسًا بأنه سيحبها... هو أراد أحتوائها...

ولملمت شتاتها... وجبر روحها.. وأستكمال

زواجهم وأستمرار حياته ببيت وزوجة وأولاد...

كأى شخص عادى...

لكن يحبها لم يفكر فى هذا الأمر... وأن يتعلق

بها وتمتلك هذه المكانة الكبيرة بداخله...

وهو لم يثق بعد هل ستنجح مساعيه أم ستقتل فى

مهدها فهو درب من الجنون... وللأسف يغوص فيه

بكل أستسلام يوازى أستسلامها...

فى البداية ظن تعلقه بها لم يكن إلا أشفاقًا

عليها فى محنتها... وما هو ينتظرها من مستقبل

حالك مع ابن عمها المتهور... وأقنع نفسه أن

الشهامة والرجولة هما من دفعاه دفعًا ليظهر فى

صورة المنقذ لليلى...

لكنه الآن يجلس فى جنح الليل كالعشاق تحت ضوء القمر.. ليعيد ترتيب أوراقه ويعترف بما يرأه حقيقة ويشعر به بجدارة... فهو يحب ليلى بالفعل وسقط فى غرام كل تفاصيل حتى النخاع...

أصبح يشعر بليلى قبل أن تناديه... يفهمها قبل أن تنطق... وكأن الزمن لم يفرقهما يومًا... وكأنها خلقت لأجله... وهو معتاد عليها حتى حفظ كل ما يخصها...

اتسعت ابتسامة سيف وهو يتذكر أنه أصبح يفهمها من نظرة... حتى حيرة جفونها أصبح يفهم أسبابها.. ثم تنهد براحة وهو يقر بأنه أستطاع التخلص من نهر دموعها الذى لا ينضب...

ولكن أبتسامته أنحسرت عندا تدخل عقله سائلاً بتفكير... أين محل قلبها من الأعراب؟... هل

أستطاع أن يتسلل إليها مثلما فعلت هى؟... هل
أحبته بالفعل مثلما أصبح يحبها؟... هو يعلم أنها
كانت تخافه فى البداية لكنه تخطى هذا
الحاجز....

لكن قلبها هل كان فارغًا عندما تزوجا وأستطاع
الأقتراب منه... أم أنها كانت تحب محمد ابن
عمها ورتبت تفكيرها على العيش معه... هو يعلم
أن محمد لم يحبها قط لكن هى بماذا كانت
تشعر؟...

صدم سيف عندما شعر للحظة أنه يقف فى صف
أهلها وبل يساويهم فى المقدار... هو ايضًا تصرف
مثلهم... قرر خطبتها والفوز بها وعزلها قد
المستطاع عنهم... على الأقل حتى تشفى من
جراحهم ثم يترك لها الحرية فى التعامل

معهم... ولكنه الآن أكتشف أنه أخذ حذوهم وأصبح يقرر عنها مثلهم ويستغل الأمها وأنصياعها لقراراتهم...

لام سيف نفسه كثيرًا... وقضى الساعات يحاسب نفسه ويعيد ترتيب أفكاره... وينحى شبح الغيرة الذى يتفنن فى نهشه... وزجه لسؤالها عن مكانة ابن عمها فى قلبها... هو زوجها وزواجهم كان قراره... ومن البداية كان يعلم أن الطريق مملوء بالشوك... فليعتبر محمد مجرد شوكة فى وسط الأشواك فى حياتها ويحاول نزعها كغيرها بدون أن يجرحها...

عاد سيف لمخدعه بعد أن قرر أنه لن ينفرد بأى قرار يخصها منذ الآن... وسيشاركها فى كل أمورها ولن يفرض عليها رأيه كما فعل أهلها معه...

قضى سيف وليلى عدة أيام بين ربوع الأرض الخضراء ونسائمها فزاد أقترابه من ليلى.. وبدأ يشاركها فى كل شئ يخصهم أو يدور حولهم لتشاركهم الكلام ثم الرأى وإن كان على أستحياء... أضافت رفقتهم تفهمًا لطبيعتهما... فكما ابتلعت ظلمة الغضب طيور الحمام سابقًا من حياتها.. ونهش درك الحياة سنين الحسن بروحها.. حطت ليلى على مدينة السلام وكسر خضارها وحش الدمار الذى غلفها..

....

عادا سيف وليلى لشقتهم... وبدأ تقارب بينهما من نوع أخر مملوء بالتحدى والأثارة واللعب... قضوا الكثير من الوقت فى صنع أشكال مختلفة الحجم متفاوتة الطول والعرض... ومتباينة الشكل مضاف إليها بعض الخامات البسيطة.... قاموا بتزينها ببعض الصور الاصقة... وصنعوا العديد من المدليلات على شكل حروف وأسماء وأشكال مختلفة... وعندما اقتربت أجازة سيف من الإنتهاء... تفاجأت ليلى من كمية الأشكال التى قاموا بصنعها...

اقترحت ليلى على سيف أن يقوم بعرضها فى أحد المحلات ثم ببيعها... اعترض سيف بشدة لأن الأمر لم يتخطى معه سوى الهواية معه... ومع تحمس ليلى بدأ يفكر في فكرتها إرضاءًا لها...

وبعد مضى القليل من الوقت ابتسم سيف وطلب من ليلى تبديل ملابسها ليقوما بتنفيذ فكرتها...

فى خلال ساعة ونص كانوا واقفين أمام أحد المحلات التجارية المتخصصة فى بيع مثل هذه المشغولات الخشبية... دخلا سويا ورحبت صاحبة المحل بحرارة بسيف... وقد كان سيف طوال الطريق يحكى عنها فقد كانت صديقة أخته الكبرى وكانت تزور أخته كثيرًا... وكان هو يزورها كمرافق لأخته قبل أن تتزوج... حكى سيف عن قوة شخصيتها واصرارها على الإعتماد على نفسها... إلى أن قامت بفتح هذا المكان كمشروع خاص بها... وكيف هى من علمته الفن واتقنه على يديها وبفضلها...

كانت ليلى تسمع وتنظر إلى حماسه بفضول...
واندهشت بحفاوة ترحيب صاحبة هذا المحل
بسيف بشكل مبالغ فيه... جلس سيف وليلى بعد
أن عرفها سيف على نريمان صاحبة المكان
فرحبت بليلى بهدوء فاتر ثم اعتدلت ناحية
سيف...

طال حديث سيف ونريمان وطالت ذكرياتهما التى
تخللت سياق الكلام... وبالمقابل طال صمت ليلى
ومراقبتها لهما... حتى شعرت بشئ غريب ينهش
فى أحشائها ويتلبس أعصابها بتوتر... وعندما
أنتهى سيف وعرض عليها أعماله.. أثنت عليه
وعلى تعليمها ومجهودها معه منذ سنوات الذى لم
يضيع هباءًا...

خرج سيف سعيدًا بروائح الذكريات الماضية...
وبدأ فى اكمالها مع ليلى... تفاجأ سيف بغضب
ليلى ورغبتها فى توقف سرده... فالتزم الصمت
حائرًا... فقد كانوا منسجمين منذ دقائق...
تتعالى ضحكاتهم فى أرجاء المكان... فما حدث
الأن؟... ولكنه غفل عن أن التجانس كان بينه
وبين نريمان فقط...

بعد عودتهما للمنزل حاول سيف فهم الأمر فتفاجا
بصياح ليلى الغاضبة... وهى تتخلى عن خجلها
العذرى الدائم ليحل محله نهر وتانيب لا يفهم
سببهم... حاول سيف استنتاج الأمر فلم يفلح...

قطع تسؤلاته لنفسه سخريتها منه وعن غفلتها
عن حقيقته.. واضافت لقولها الدليل وذكرته
بتجاوزه معها بالسيارة فى أول لقاء لهما... وكيف

غفلت عن الأمر وقبلت بوجوده فى حياتها (وكأن كان لها حق القبول او الرفض ولم تجبر من البداية) وها هو الان يتكلم ويمزح مع آخرى تكبرهما عمر بدون اى حدود أو احترام لوجودها...

اقتضبت ملامح سيف وهو يسمع اتهاماتها وصراخها... وعندما أنتهت... ترك لها المنزل بدون أى كلمة يشرح لها وجهة نظره... أو حتى يدافع عن نفسه...

تهاوت ليلى بغضب... والشيطان يتلاعب بخيالاتها فيزداد غليانها... مضت الساعة تلى الأخر ولم يعد سيف من الخارج... وإن كانت هدأت من ثورة غضبها إلا أن فتيل ثورة أخرى قد أشعل فيها وهى

تكتشف سبب صياحها... بررت وانكرت ووضحت لنفسها كثيرًا... لتصدم بالحقيقة فى النهاية.. أنها تغار..

نعم هى تغار على سيف... لقد غارت عليه من هذه السيدة... وان كانت تكبره بضعت أعوام إلا ليس من حقها أن تكلمه وتمازحه بهذا الشكل... هو لها فقط... لما يبتسم لغيرها... لما له ذكريات مع غيرها... لما لم تلتقى به من قبل... منذ سنوات.. ربما كان ساعدها على تحقيق أحلامها التى أنتهكوها بسلطان الأب والعم والأهل وتحكماتهم... أم أن سيف هو هدية من الله لتتجاوز محنتها...

أخذت ليلى تفكر بشكل مختلف عما اعتادت عليه... وكان سيف قد أعاد تشكيل تركيبتها

الفكرية والعقلية... وحجب مواقع الدراما التى كانت تحياها... ونحى الحزن بجانب قلبها واعطى لنفسه مساحة ليسكن فيها بعقلانية...

تسارعت دقات قلبها فنظرت له غير مستوعبه الأمر... أحان الوقت ليدق؟ أم أن سيف هو من أعاد ترتيب دقاته؟... تسارعت أفكارها خوفًا على سيف وقد داهمها الليل بظلمته وهى مازالت قابعه مكانها... وقفت بجوار النافذ لفترة أخرى لم تدرك طولها حتى رأته قادم على بعد عدة أمتار من المنزل... ابتسم قلبها بسعادة وتقافزت دقاته بوتيرة خجلة... فقط باح لها بولود حبه منذ قليل... والأن يعيش فى طور المراهقة...

ارتجفة قدماها حتى لم يساعدها عقلها لتختبئ فى أى زاوية... وفجأة سمعت دفع باب الشقة أمامها

وسيف يدخل منه... ملامحه لم تبشر بهدوئه بعد
هذه الفترة... ولسانها لم يستطيع أن يفتر عن
جملة ترحيب... تجاوزها سيف وكانها سراب
ودخل غرفة النوم وأغلق خلفه ببعض الحدة...
أنتفضت من ثباتها وسعادتها... وانكبت على
حقيقة الأمر.. فقد أرتبكت عدة أخطاء فى حقه
وقد ظهرت أمامها الآن والتو... وهى من كانت
تظنه سيتناسى ويصفح عنها زلتها...

زاغ بصرها بحثًا عن المفر... ونصح عقلها
بالمواجهة كما علمها سيف عندما يستصعب
عليها أمرًا... اذا فلا مفر... وبدون تفكير فى
عبارات معتذرة أو التخطيط فى تحديد الأسباب
والنواتج طرقت باب الغرفة وفتحته بتمهل عندما
لم تتلقى إجابة... نظرت لسيف الذى كان قد
إستبدل ثيابه وتوجه إلى مخدعهما مباشرة... نادة

اسمه بخفوت فأعطاها ظهره بصمت... وقفت
متوترة تفتح فى أصابع كفيها وتغلقهما عدة مرات
متتالية بشكل عشوائى... وعندما زادت حدة
توترها ضمت أصابعها إلى بعض مطالبة ببعض
الدفء الذى غادرها... هى أعتادت على احتواء
سيف وحنانه وتفهمه... لكن سيف الغاضب
كيف ستتعامل معه؟...

اقتربت ليلى من السرير بعد مضى فترة لم يعرها
سيف اهتمامه كعادته... وجلست إلى جواره بحذر
متمتمه بإعتذار متلعثم... شعرت ببله فى
كلماتها وغباء كافً عندما لم يعرها سيف
اهتمام ايضًا... فاين ضاع شغفه ومداعباته الذى
ينتزع ضحكتها منها انتزاعًا... بلعت ليلى ريقها
وهى تصر على عدم الإستسلام... فلن تسمح

برحيل سيف عن حياتها بعد أن أذاقها شهد الحياة...

اقتربت معيدة اعتذارها ثم ربتت على كتفه الذى كشف لها عن جزء من ملامح وجهه المتحفزة بضيق... تمتمت بعض الكلمات متعثرة فى حروفها... وكادت تستقط منهارة من جراء حماقتها التى تتسع أمام عينيها شئ فشئ... لم تستطع إسترجاع ما قالته من همهمات ولا حتى ما نطقته من اعتذار مرتبك... انتظرت قليلاً لعله يواجهها أو يعاتبها أو حتى محاولتها البائسة تفلح فى ارضائه... ولكنه ظل على ما هو من سكون متحفز... وهى لم تطيق صبرًا....

وبدون مقدمات شبت برأسها وطبعت على خده لمسة معتذرة كرفرفة فراشة صغيرة .. وابتعدت

مسرعة... أغمضت جفنيها بقوة خجلًا وارتباكًا من جرائتها الغير متوقعة... وحماقتها المستمرة بدون رادع...وظلت تسب نفسها على غبائها منقطع النظير ... ولكنه زوجها... هذه الكلمة البسيطة لفظتها بداخلها بتكرار.. لتربت على ذعر قلبها الذى زادت خفقاته...

تجمد سيف بمكانه غير مصدق ما فعلت... اعتدل ينظر لها بصدمة... فوجدها قد أغلقت عينيها بشدة... وشفتيها تتحرك بشبه سباب خافت لنفسها... وكفيها مضمومتان بتوتر فى حجرها.... تطلع بها وتسللت بسمة خفية على ثغرة منتشية بما وصل إليه... طال صمتهما فبدأت ليلى فى السماح لجفنيها بالإنفراج رويًا... شهقت بفزع عندمًا رأته ينظر لها وهبت من مكانها تتعثر بارتباكها... لم يسمح لها سيف بالهروب وقيدها

بجواره... ثم أشرف عليها فانكمشت بخوف مكانها...

رسم سيف الصرامة على وجهه وسألها عن ما فعلت.. فزاغت عينيها بغباء عن الإجابة وتسارعت وتيرت دقات قلبها... وهو لم يرحمها ويفك أسر عينيه من عينيها...

إمتلات مقلتيها بالدموع عندما طلب منها بوضوح أن تأخذ ما وصمت به خده... صدمها بشدة ورفعت كفها بأصابع مرتجفة لتزيل أثر شفتيها... فتمسك بكفها واحتجزها بين كفه قبل أن تصل إليه.. وطالبها بمحو الأثر بنفس الطريقة التى وصم بها....

بخنوع رفعت جسدها حزنًا وكمدًا ولثمت خده بفراشة أخرى... القت بجسدها مرة أخرى على

السرير بإنهاك لروحها وخجل من تسرعها لائمة

نفسها على غبائها...

صدمها سيف بعد أن نظر للسقف قليلًا مطالبًا

بهدوء وصرامة بأن تكون عادلة... فهو رجل

قانون ويطبق العدالة فى كل مجريات حياته...

كما يمتلك خدين يغاران من بعضهما وهو لا

يرضى ابدًا بالتمييز بينهما...

نظرت له ليلى غير مستوعبة أهو يمزح أم جاد فى

كلامه... وعندما رأت الصرامة مازالت تعتلى

ملامحه شعرت بخنجر يطعن قلبها... إلى هذا الحد

هو غاضب؟ أم أصبح لا يهتم بها ولا بمشاعرها

ويستهزء بها... نهضت ببطء من مكانها لتقترب

منه وهو مازال يعلوها مستندًا على ذراعيه...

يحتجزها كفار أحكم عليه الحصار.. أهدته

فراشة جديدة... وقبل أن تعود لمكانها طالبها بمحوها لتكون قد حققت ميزان العدالة لخدية...

بضيق أزالت ليلى وصم فراشتها.. وضربت رأسها فوق وسادتها بحنق... فقال سيف بجدية تامة :
(ودلوقت... وبناءًا على مبدأ العدل وارساءا للحق... فان للذكر مثل حظ الأنثيين... وبما أنه فى قانونى الخاص لا أقبل أى مجاملات من أى نوع لأنها تعتبر رشوة.. فحقك لازم يوصلك لغاية عندك...)

نظرة له ليلى بعدم فهم فاشار إلى خدة وقال :
(أنتى اديتينى اتنين ومسحتيهم... ولأنى راجل فلازم أديكى أربعة وأمسحهم...)

وقبل أن تفهم ليلى أو تعترض بدأ سيف فى توزيع
فراشته التى تجاوزة الحد المسموح بضميره
الخالص...

وعاشا يرسون قواعد العدالة طوال حياتهم بين
فراشاتهم على طريقة سيف الخاصة... يسكرون
بدون مشروب... يجرون بدون خطوات... يغنون
بدون عزف... وعندما تعصف نبضات الحياة بدون
رياح... يطيرون بدون أجنحة... فساروا فى روضة
الحب عاشقين متحادين كل الظروف بدون أن
يزعزع تماسكهم أحد... فكما تلبست ليلى
سيف تلبسها هو...

الليل يا ليالي

إقرأ المزيد على

www.hakawelkotob.com

راندا عبد الحميد